الكبائر

الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين .

قال ا تعالى : { وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا } أي برا و شفقة و عطفا عليهما { إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما } : أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا و أسنا و ينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم و كيف يقع التساوي و قد كانا يحملان أذاك راجين حياتك و أنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما ثم قال ا تعالى : { و قل لهما قولا كريما } أي لينا لطيفا { واخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا } و قال ا تعالى : { أن اشكر لي و لوالديك إلي المصير } فانظر رحمك ا كيف قرن شكرهما بشكره قال ابن عباس Bهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها (إحداهما) قول ا تعالى : { أطيعوا ا و أطيعوا الرسول } فمن أطاع ا و لم يطع الرسول لم يقبل منه (الثانية) قول ا تعالى : { و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة } فمن صلى و لم يزك لم يقبل منه (الثالثة) قول ا تعالى : { أن اشكر لي و لوالديك } فمن شكر ا و لم يشكر لوالديه لم يقبل منه و لذا قال النبي صلى ا عليه و سلم [رضى ا في رضى الوالدين و سخط ا في سخط الوالدين] .

و [عن ابن عمر Bهما قال : جاء رجل يستأذن النبي صلى ا عليه و سلم في الجهاد معه فقال النبي صلى ا عليه و سلم : أحي والداك ؟ قال : نعم قال : ففيهما فجاهد] مخرج في الصحيحين فانظر كيف فضل بر الوالدين و خدمتهما على الجهاد ! .

و في الصحيحين [أن رسول ا صلى ا عليه و سلم قال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك با و عقوق الوالدين] فانظر كيف قرن الإساءة إليهما و عدم البر و الإحسان بالإشراك و في الصحيحين أيضا [أن رسول ا صلى ا عليه و سلم قال : لا يدخل الجنة عاق و لا منان و لا مدمن خمر] و عنه صلى ا عليه و سلم قال : [لو علم ا شيئا أدنى من الأف لنهى عنه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة و ليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار] و قال صلى ا عليه و سلم : [لعن ا العاق لوالديه] و قال صلى ا عليه و سلم : [لعن ا من سب أباه لعن ا من سب أمه] و قال صلى ا عليه و سلم : [كل الذنوب يؤخر ا منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة] .

و قال كعب الأحبار C : إن ا ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب و

أن ا ليزيد في عمر العبد إذا كان بارا بوالديه ليزيده برا و خيرا و من برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا فقد جاء رجل إلى النبي صلى ا عليه و سلم فقال : يا رسول ا إن أبي يريد أن يحتاج مالي فقال صلى ا عليه و سلم : [أنت و مالك لأبيك] و سئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو ؟ قال هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمها و إذا أمره بأمر لم يطع أمرهما و إذا سألاه شيئا لم يعطهما و إذا ائتمناه خانهما .

و سئل ابن عباس Bهما عن أصحاب الأعراف من هم و ما الأعراف ؟ فقال : أما الأعراف فهو جبل بين الجنة و النار و إنما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة و النار و عليه أشجار و ثمار و أنهار و عيون و أما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم و أمهاتهم فقتلوا في الجهاد فمنعهم القتل في سبيل ا من دخول النار و منعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضي ا فيهم أمره .

و في الصحيحين [أن رجلا جاء إلى رسول ا صلى ا عليه و سلم فقال يا رسول ا من أحق الناس مني بحسن الصحبة ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أبوك ثم الأقرب فالأقرب] فحض على بر الأم ثلاث مرات و على بر الأب مرة واحدة و ما ذاك إلا لأن عناءها أكثر و شفقتها أعظم مع ما تقاسيه من حمل و طلق و ولادة و رضاعة و سهر ليل .

رأى ابن عمر Bهما رجلا قد حمل أمه على رقبته و هو يطوف بها حول الكعبة فقال : يا ابن عمر أتراني جازيتها ؟ قال : و لا بطلقة واحدة من طلقاتها و لكن قد أحسنت و ا يثيبك على القليل كثيرا .

و [عن أبي هريرة Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه و سلم : أربعة نفر حق على ا أن لا يدخلهم الجنة و لا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر و آكل ربا و آكل مال اليتيم ظلما و العاق لوالديه إلا أن يتوبوا] و قال صلى ا عليه و سلم : [الجنة تحت أقدام الأمهات] و جاء رجل إلى أبي الدرداء Bه فقال : يا أبا الدرداء إني تزوجت امرأة و إن أمي تأمرني بطلاقها فقال أبو الدرداء : سمعت رسول ا صلى ا عليه و سلم يقول : [الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه] و قال صلى ا عليه و سلم : [ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم و دعوة المسافر و دعوة الوالد على ولده] و قال صلى ا عليه و سلم : [الخالة بمنزلة الأم أي في البر و الإكرام و الصلة و الإحسان] و عن وهب بن منبه قال : إن ا تعالى أوحى إلى موسى صلوات ا و سلامه عليه يا موسى وقر والديك فإن من وقر والديه مددت في عمره و وهبت له ولدا يوقره و من عق والديه قصرت في عمره و وهبت له ولدا يعقه .

و قال أبو بكر بن أبي مريم : قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل و قال وهب : قرأت

في التوراة : على من صك والده الرجم .

و عن عمرو بن مرة الجهني قال : جاء رجل إلى رسول ا صلى ا عليه و سلم فقال : يا رسول ا أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس و صمت رمضان و أديت الزكاة و حججت البيت فماذا لي ؟ فقال رسول ا صلى ا عليه و سلم : [من فعل ذلك كان مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين إلا أن يعق والديه] و قال صلى ا عليه و سلم : [لعن ا العاق والديه] و جاء عن رسول ا صلى ا عليه و سلم قال : [رأيت ليلة أسري بي أقواما في النار معلقين في جذوع من نار فقلت : يا جبريل من هؤلاء قال : الذين يشتمون آباءهم و أمهاتهم في الدنيا] .

و روي أن من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض و يروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه و أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك و الزاني و العاق لوالديه .

و قال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل ا و النظر إليها أفضل من كل شيء [و جاء رجل و امرأة إلى رسول ا صلى ا عليه و سلم يختصمان في صبي لهما فقال الرجل : يا رسول ا ولدي خرج من صلبي و قالت المرأة : يا رسول ا حمله خفا و وضعه شهوة و حملته كرها و وضعته كرها و أرضعته حولين كاملين فقضى به رسول ا صلى ا عليه و سلم لأمه] .

(موعظة) : أيها المضيع لآكد الحقوق المعتاض من بر الوالدين العقوق الناسي لما يجب عليه الغافل عما بين يديه بر الوالدين عليك دين و أنت تتعاطاه باتباع الشين تطلب الجنة بزعمك و هي تحت أقدام أمك حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج و كابدت عند الوضع ما يذيب المهج و أرضعتك من ثديها لبنا و أطارت لأجلك وسنا و غسلت بيمينها عنك الأذى و آثرتك على نفسها بالغذاء و صيرت حجرها لك مهدا و أنالتك إحسانا و رفدا فإن أصابك مرض أو شكاية أظهرت من الأسف فوق النهاية و أطالت الحزن و النحيب و بذلت مالها للطبيب و لو خيرت بين حياتك و موتها لطلبت حياتك بأعلى صوتها هذا و كم عاملتها بسوء الخلق مرارا فدعت لك بالتوفيق سرا و جهارا فلما احتاجت عند الكبر إليك جعلتها من أهون الأشياء عليك فشبعت و هي جائعة و رويت و هي قانعة و قدمت عليها أهلك و أولادك بالإحسان و قابلت أياديها بالنسيان و صعب لديك أمرها و هو يسير و طال عليك عمرها و هو قصير هجرتها و مالها سواك نصير هذا و مولاك قد نهاك عن التأفف و عاتبك في حقها بعتاب لطيف ستعاقب في دنياك بعقوق البنين و في أخراك بالبعد من رب العالمين يناديك بلسان التوبيخ و التهديد (ذلك بما قدمت يداك و أن ا ليس بظلام للعبيد) : .

(لأمك حق لو علمت كثير ... كثيرك يا هذا لديه يسير) .

(فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنة و زفير) .

(و في الوضع لو تدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير) .

(و كم غسلت عنك الأذى بيمينها ... و ما حجرها إلا لديك سرير) .

(و تفديك بما تشتكيه بنفسها ... و من ثديها شرب لديك نمير) .

(و كم مرة جاعت و أعطتك قوتها ... حنانا و إشفاقا و أنت صغير) .

(فآها لذي عقل و يتبع الهوى ... و آها لأعمى القلب و هو بصير) .

(فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير) .

[حكي أنه كان في زمن النبي صلى ا عليه و سلم شاب يسمى علقمة و كان كثير الإجتهاد في طاعة ا في الصلاة و الصوم و الصدقة فمرض و اشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول ا صلى ا عليه و سلم : إن زوجي علقمة في النزع فأردت أن أعلمك يا رسول ا بحاله فأرسل النبي صلى ا عليه و سلم عمارا و صهيبا و بلالا و قال : امضوا إليه و لقنوه الشهادة فمضوا إليه و دخلوا عليه فوجدوه في النزع فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا ا) و لسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول ا صلى ا عليه و سلم يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة فقال النبي صلى ا عليه و سلم : هل من أبويه أحد حي ؟ قيل : يا رسول ا أم كبيرة السن فأرسل إليها رسول ا صلى ا عليه و سلم و قال للرسول : قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول ا صلى ا عليه و سلم و إلا فقري في المنزل حتى يأتيك قال : فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول ا صلى ا عليه و سلم فقالت : نفسي لنفسه فداء أنا أحق بإتيانه فتوكأت و قامت على عصا و أتت رسول ا صلى ا عليه و سلم فسلمت فرد عليها السلام و قال لها : يا أم علقمة أصدقيني و إن كذبت جاء الوحي من ا تعالى كيف كان حال ولدك علقمة ؟ قالت : يا رسول ا كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة قال رسول ا صلى ا عليه و سلم فما حالك ؟ قالت : يا رسول ا أنا عليه ساخطة قال : و لم ؟ قالت : يا رسول ا كان يؤثر علي زوجته و يعصيني فقال رسول ا صلى ا عليه و سلم : إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة ثم قال : يا بلال انطلق و اجمع لي حطبا كثيرا قالت يا رسول ا و ما تصنع ؟ قال : أحرقه بالنار بين يديك قالت : يا رسول ا ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي قال : يا أم علقمة عذاب ا أشد و أبقى فإن سرك أن يغفر ا له فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته و لا بصيامه و لا بصدقته ما دمت عليه ساخطة فقالت : يا رسول ا إني أشهد ا تعالى و ملائكته و من حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة فقال رسول ا صلى ا عليه و سلم : انطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا ا أم لا ؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول : لا إله إلا ا فدخل بلال فقال : يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة و أن

رضاها أطلق لسانه ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمر بغسله و كفنه ثم صلى عليه و حضر دفنه ثم قام على شفير قبره و قال : يا معشر المهاجرين و الأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا إلا أن يتوب أن يتوب إلى الله عز و جل و يحسن إليها و يطلب رضاها فرضى الله في رضاها و سخط الله في سخطها فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه و أن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رؤوف رحيم]